هـادئ، تدريجى، ويتم أحيـانًا فى صـمت وقد تبـدو إشارة قبل ذيوع ما يتعلق به. الثانى مباغت، عنيف مفاجئ للكافة حتى الأقربين، وهذا ما اتبعه سيادته عكس سائر من سبقوه. إن الإجراءات الحادة محطات رئيسة تؤدى إلى أخرى فرعية.

على سبيل المثال إبطال عزف الموشح الأندلسى على ضريح المؤسس مساء كل خميس طبقًا لوصيته، واستبدال الفرقة الموسيقية الميدانية بجهاز تسجيل وشريط يديره حارس المقبرة، ثم أهمل أمره تمامًا، لو أخذ القرار مجردًا لبدا ذا معقولية وحصافة، ولكن إذا وضع فى السياق المؤسسى العام لبدا علامة فارقة، إذ ينال من المقدسات المصونة والتقاليد الراسية، صحيح أن الأجيال تتبدل والأحوال تتغير، ولكن مثل هذه العلامات تميز وتخصص، إلغاء عزف الموشحات مقدمة لتغيير الأسس التى وضعت للطابق الثانى عشر، سواء من حيث الصياغة الشكلية أو المضمونية، هذا ما لحق الجراج أيضًا.

فى البداية أصدر سيادته قرارًا بشراء سيارة تخصص له، من طراز حديث، ومن شركة بارعة فى تصنيع العربات المصفحة، ذلك أن منصب المسئول الأول عن المؤسسة أصبح هدفًا فى حد ذاته بغض النظر عمن يشغله، لا يقتصر الأمر على الجهات العاملة فى الداخل الساعية إلى تقويض الاستقرار، إنما يشمل الخطر بعض الهيئات الأجنبية المناوئة، خاصة تلك التى يسودها القلق من بعض أنشطة المؤسسة فى مجال البحوث أو مناطق النشاط، بالتحديد الحزام المالاوى جنوب المحيط.

هكذا ظهرت المرسيدس المصفحة والتى لم تقض ليلة واحدة فى الجراج، إنما كانت معه باستمرار، وتبعها سيارة أخرى من طراز إيطالى